

الفصل الخامس

فلسفة الذعاية الصهيونية

obeikandi.com

فلسفة الدعاية الصهيونية

كان الانطواء والتخلف الفكرى السمتين المتلازمين للأقليات اليهودية التي انتشرت في أنحاء العالم حتى بالنسبة لمن كان منها أوروبياً وعاصر النهضة العلمية في مطلع القرن الثامن عشر . .

وظل ذلك حالم إلى ظهور الحركة المسماة « ماسكالاة » أو حركة التنوير التي دعا إليها « موسى مندلسون » في ألمانيا والتي كانت ترمي إلى خروج اليهود - من عزلتهم وسأيرة عصر النهضة والاندماج في المجتمعات الأوروبية المحيطة بهم وتجنب الجمود الدينى . وهدف مندلسون^(١) من وراء دعوته تلك إلى تنازل اليهود عن النزعة الفردية - العنصرية والتخلى عن فكرة الخلاص^(٢) .

وكانت نقطة التحول التي تلت ذلك حين نادى الصحفي النموسى تيودر هرتزل عام ١٨٩٦^(٣) في إنجيله عن الصهيونية بالدولة اليهودية . ولم يمض عام حتى تأسست المنظمة الصهيونية في مؤتمر بازل^(٤) الذي

(١) فيلسوف ألماني - مترجم العهد القديم من العبرية إلى الألمانية ومفسره وبذلك بدأت مرحلة جديدة في تاريخ اليهود - وكان من أوائل الذين طالبوا بتحرير اليهود - وكان مندلسون يجمع في وقت واحد بين الانتماء إلى اليهودية وإلى الأمة الألمانية - وكان يجهز لتعليم أبناء دينه الألمانية ، وبذلك يقدم لتقبل الثقافة الجرمانية - ولقد بدأ يترجم التوراة إلى الألمانية - ثم قرر أن ينشرها باسمه وعلى نفقته الخاصة ولقد كان لهذه التجربة أثر ضال في جعل اليهود يشاركون في حركة التقدم المعاصرة وولدت فيهم الرغبة القوية لتبنى القومية والثقافة الألمانية - وبدأت معهم عهداً جديداً في مجال تعليم الصغار ونظام المدارس اليهودية .

(٢) مركز الدراسات الفلسطينية (مؤسسة الأهرام) أبعاد الصراع العربى الإسرائيلي ص ٧ .

(٣) يورى إيفانوف - احذروا الصهيونية - دار تونجى للطباعة والنشر .

(٤) دراسات اشتراكية - عدد أغسطس ٧٢ - الصهيونية ومعاداة السامية - بقلم -

ف.ج. كسولار ص ١٥٩ .

أعلن برنامج خلق الدولة اليهودية ورفض فكرة اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها . ويتضح من هذا أن الفكرة الرئيسية للصهيونية ، أي النقل بأن اليهود لا يستطيعون الاندماج وأنهم يمثلون هوية قومية فريدة ، إنما تنفق على وجه العموم مع سائر الأفكار والمفاهيم العنصرية العدوانية .

ولقد ازدهرت الحركة الصهيونية بعد عام ١٩٠٥^(١) واتبعت نفس الأساليب التي اتخذتها كافة الحركات الإمبريالية الأخرى بمساعدة وتعزید عدد من الاستعماريين مثل لورد شافتمبري وهنري تشرشل ، وسارعت الاحتكارات الرأسمالية الكبيرة بالمساهمة في إقامة المستعمرات وتنفيذ المشروعات الاستيطانية اليهودية المختلفة فوق أرض فلسطين^(٢) .

ولقد تعاونت الصهيونية - كحركة إمبريالية - مع كافة أشكال الاستعمار الأخرى^(٣) حتى ما كان يتنادى بالعداء للسامية واليهودية .

كل ذلك ساعد على تكوين منظمات عسكرية إرهابية للحركة الصهيونية في فلسطين نجحت في حمل سلطات الانتداب البريطاني على السماح لليهود بالمجرة إلى فلسطين (حسب وعد بلفور) وعلى الاعتراف والتعامل مع الوكالة اليهودية ومساعدة الحركة الصهيونية بكل الوسائل حتى كان قرار التقسيم عام ١٩٤٧ ثم تخلى بريطانيا المتناجئ عن انتدابها للعصابات الصهيونية لإقامة دولة لإسرائيل .

الأسس الأيديولوجية للدعوة الصهيونية :

ولقد تحددت للحركة الصهيونية بالفعل من خلال عمالها التنظيمي ملامح شبه أيديولوجية اعتمدت عليها في عملها الدعائي ، يمكن أن نلخصها في النقاط التالية :

- (١) الحضر الصهيوني - دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦١ .
- (٢) جالينا نيكييتينا - دولة إسرائيل - دار الهلال ص ٢٠ .
- (٣) الصهيونية - الطليعة - نوفمبر ١٩٧١ ص ٣٧ .

(١) الادعاء بأبدية العداة للسامية (وهو العنصر الذى ينتمى إليه يهود العصر القديم) فى كل زمان ومكان .

(ب) القول بختمية لجوء اليهود إلى وطن خاص بهم يكفل لهم الحماية الكافية .

(ج) الادعاء بوجود حضارة عبرية قديمة وأن للثقافة العبرية أفضالها على العالم وحضارته أجمع .

(د) التأكيد على تميز العنصر اليهودى على غيره من العناصر وأن العالم مدين له بإنجازاته العلمية والفنية المعاصرة .

وهذه العناصر المترابطة يمكن فى الحقيقة اعتبارها أساساً لأيديولوجية تبريرية تستهدف فرض عودة الاستعمار الاستيطانى على فكر وحضارة القرن العشرين .

ولقد عملت الدعاية الصهيونية بكل قواها على ترسيخ فكرى أبدية المعاداة للسامية والتمييز على سائر الشعوب والطوائف الأخرى فى التكوين السيكولوجى اليهودى العالمى^(١) .

وقد استهدف المخطط الدعائى الصهيونى من وراء ذلك تحقيق هدفين أساسيين هما :

أولاً : تجنيد يهود العالم تحت ضغط الشعور بالاضطهاد والتمييز :

وذلك للمساهمة فى المخطط الصهيونى الإمبريالى لخدمة مصالح الرأسمالية اليهودية وسائر المصالح الاستعمارية المرتبطة بها وأتى تستهدف دعم رأس الجسر الإمبريالى على أرض فلسطين .

ويعمل المخطط الصهيونى الإمبريالى بالطبع إلى تحريك واستغلال أكبر قدر ممكن من اليهود تحت شعار الصمود متحدنين أمام المعاداة الأبدية

(١) قدرى حفى - تجنيد اليوم ص ٨٣ . مركز الدراسات الفلسطينية الأهرام - القاهرة ١٩٧١ .

لسامية في كل مكان . فذلك الشعار كما تعتقد الدعاية الصهيونية يقربهم مكانياً كما يقربهم نفسياً وذهنياً ، تحت حجة الدفاع عن النفس ، والحقيقة هي خدمة ذلك المخطط الصهيوني الإمبريالى .

وحيث منطق هرتزل فإن الأمة اليهودية لن يعود لها وجود في حانة اختفاء الشعوب المعادى للسامية . ولقد كتب يقول : « وقبل كل شيء أدركت فراغ وعدم الجهود المبذولة لمكافحة معاداة السامية - ومن هنا أستخلص أن حل المسألة اليهودية لا يكون بالنضال في سبيل القضاء على معاداة السامية ، أو لتحقيق المساواة الكاملة في الحقوق لليهود في كل البلاد التي يعيشون فيها ، وإنما في فصل اليهودى من غير اليهودى ، وإقامة دولة - يهودية - يمكن أن تتحد فيها من جديد الأمة اليهودية^(١) .

ومن المنطقى - بعد ذلك - وفي ضوء هذا الفهم لحرص قادة الحركة الصهيونية على إذكاء روح اللسامية أن تقدم الصهيونية نفسها على أنها الحل لمشكلة - معاداة السامية - وفي ذلك يقول سركاى « لقد أسهمت الصهيونية بنصب أساسى في حل المشكلة السامية للنازية - تلك المشكاة التي سوف تستمر قائمة طالما أن اليهود يشكلون أقلية بين الأمم ، وباسم انتصار الديمقراطية على الفاشية تطالب الصهيونية بفلسطين ؟ وتقول جولدا مائير : إن الشعب اليهودى يطالب بأن يكون لنا الحق في وطن وفي مكان خاص بنا كنتيجة لهذه الحرب ولانتصار الديمقراطية على الفاشية والنازية^(٢) .

ثانياً : استغلال عقدة الذنب لدى شعوب العالم وأوروبا بصفة خاصة

باللقاء عبء اضطهاد اليهود عابها خلال الأزمنة التاريخية المختلفة :

وبنفس ذلك المنطق المقاروب تريد أجهزة الإعلام التي تحركها الصهيونية في المجتمع الدول إقناع الرأى العام العالمى بأن خروج أجداد اليهود الأول من

(١) مجلة دراسات اشتراكية - اندور الرجس للصهيونية « هايمان لور » عدد يناير ١٩٧٢ .

(٢) مجلة الطليعة - نوفمبر ٧١ ص ١٤ ، ١٥ .

فلسطين كان نتاج اضطهاد ما زال مستمراً حتى الآن . وبالتالي فإن على المجتمع الدولي أن يتسامح معهم في جرائمهم حين يضطهدون هم بدورهم الأمم والطوائف الأخرى وحين تمتد مستعمراتهم من النيل إلى الفرات ، فهم يريدون أن يفرضوا على العالم مساعدتهم ، حيث إنهم هذه المرة مضطهدون من العرب .

ولقد استخدم اليهود هذا المدخل الفكري بطريقة فعالة حتى إن أحد الكتاب اليهود علق على ذلك بقوله : « يغلف العلاقة ما بين الصهيونية ومناهضة السامية ستار دخان من العاطفية التي تردع كثيراً من الناس بما في ذلك اليهود ، من إعلان شكواهم من الصيويين . وعدم الرغبة هذا - (الرغبة في الاتهام بهذه التهمة) - معروف جيداً لدى رجال العلاقات العامة اليهود الذين يعزفون على وترها بشكل متواصل وغالباً ما يصعب تمييز هذا العزف عن الابتزاز العاطفي »^(١) ولذلك فإن على هذه الشعوب أن تدفع لأخطاء غيرها ما تريده الصهيونية . وبرغم ما في ذلك من تناقضات واقتراءات وبعد عن المنطق السليم فإن إسرائيل استطاعت بالفعل الحصول على العديد من الهدايا والمساعدات التي ساعدتها على خلق اقتصاد يقوم بالدرجة الأولى على هبات الآخرين وعلى خلق مؤسسة عسكرية عدوانية في دولة إسرائيل .

ونظرة واحدة على ما استطاعت الحركة الصهيونية ودولة إسرائيل بالتالي - ابتزازه من ألمانيا الغربية تحت اسم التعويض عما لحق اليهود ، إبان عهد النازي تثبت هذه الحقيقة - فقد نصت اتفاقية التعويضات مع ألمانيا الغربية على دفع تعويض قدره ٨٣٣ مليون دولار لإسرائيل مما كان له أطيّب الأثر على استقرار الاقتصاد الإسرائيلي وتدعيم المقدرات العسكرية الإسرائيلية^(٢) وكان نصف قيمة التعويض يدفع عن طريق مد إسرائيل بالمعدات الثقيلة والمواد الخام اللازمة لصناعة البترول والسفن والسكك الحديدية .

(١) حامد ديبج - فلسفة الدعاية الإسرائيلية ص ١٦٨ .

(٢) سباليانماكنينا - دولة إسرائيل - دار الهلال ص ١٨٢ .

وهناك أمثلة كثيرة للابتزاز العاطفي لشعوب أوروبا وأمريكا وغيرها عن طريق الضرب اليومي على وتر معاداة السامية ، نذكر طرفاً منها هنا . ويتمثل الابتزاز الصهيوني في المثال الأول في تلك الضجة التي شهدتها ألمانيا الغربية منذ سنوات^(١) حول مسرحية غنائية اسمها « عذابات المسيح » تحكى قصة عذاب المسيح وصلبه على يد اليهود ، ويجرى تمثيل المسرحية كل عشر سنوات في قرية ألمانية صغيرة في مقاطعة بافاريا . ولكن الدعاية الصهيونية لا يمكن أن تترك مناسبة كهذه تمر في هدوء ، ويجب أن تتحول « عذابات المسيح » إلى « عذابات اليهود » وتوجه الاتهامات بمعاداة السامية إلى السلطات الدينية وغير الدينية في ألمانيا الغربية ، وتكون هذه فرصة للابتزاز بإثارة خواطر أيام حكم هتلر وغيرها . وانظريف في الأمر أن الذين يتصدون لإثارة هذه الضجة والمناقشات (التي تبدأ كافة الوسائل لنشرها وإذاعتها عن طريق الإذاعة والصحف وغيرها) هم أنفسهم أعضاء ما يسمى « جمعيات التوفيق المسيحية اليهودية » وهي جمعيات تسيطر عليها عناصر تؤيد الحركة الصهيونية وتستخدم كواجهة لأنشطة كثيرة مريبة سياسية وغير سياسية .

ويتمثل المثال الثاني فيما حدث للبروفيسور الفرنسى ورجل المقاومة البارز « يول راسينير » عندما عبر عن حقيقة المبالغات التي تقوم بها الدعاية الصهيونية لتضخيم ما لاقاه اليهود في أوروبا أيام حكم هتلر في كتاب بعنوان « التصدى للصهيونية » فقد اتهم بمعاداة السامية وحوصر كتابه بسنار من المنع والكتمان — كما أحبط موته المفاجئ بالغموض ، بالرغم من أنه شخصية فرنسية بارزة .

أما المثال الثالث الذى تذكره هنا فيتصل بعملية إرهاب الصهيونية لليهود أنفسهم إذ لا يكاد يمر يوم واحد إلا وتظهر في أماكن مختلفة ومتعددة من أوروبا وأمريكا بل إسرائيل نفسها علامات الصليب المعقوف مصحوبة بعبارات تهديد لليهود وتخويفهم من فكرة « معاداة السامية » ...

(١) جريدة الأهرام - ٢-٦-٧٠ - سلامه أحمد سلامة « استراتيجية الدعاية الصهيونية » .

زيف الأساس الأيديولوجي للدعوة الصهيونية :

تعتمد الأيديولوجية الصهيونية - كما قدمنا - على الادعاء بأن اليهود في جميع أنحاء العالم يكونون جنسية واحدة . فقد كانت فكرة هرتزل الأساسية في إنشاء دولة لليهود تقوم على أساس اعتبار اليهود عنصراً بشرياً متميزاً . وليست تلك أول دعوى عنصرية عرفتها البشرية في تاريخها الحديث ولكنها دعوى تذهب بالفكر العنصرى إلى أبعد الحدود . فالعنصريون في الولايات المتحدة يزعمون تفوق البيض على السود . ولا شك أن الإنسان العادى يرفض أن يكون للون البشرة نتائج على المستوى العقلى . يربط بالأسود إلى مستوى أدنى من الأبيض . ولكن على أية حال تلك دعوى عنصرية تشمل مئات الملايين من البشر . وتتخذ لها سنداً من مظهر مادى هو لون البشرة ، والعنصريون في جنوب أفريقيا أو روديسيا يستندون إلى نفس النظرة . أما العنصرية النازية فكانت تقوم على تمجيد العنصر الآرى وهو في زعمهم مجموعة الشعوب التى تتكلم لغات تواضع علماء اللغة على ردها إلى أصل مشترك هو « الهندية الأوربية » التى لم يثبت تاريخياً أى أثر لها .

أما العنصرية الصهيونية ، فهى تعصب عرقى في أشنع صورته لأنها تزعم أن كل اليهود في مختلف أرجاء المعمورة من نسل رجل واحد هو إبراهيم عليه السلام .

فشعب الله المختار ينحدر كله من الأسباط الاثني عشر الذين رزقهم يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم . الذى أطلق عليه اسم إسرائيل « لأنه قاتل ملاكا من ملائكة الرب » ؛ ومعنى ذلك أن نسل يعقوب ظل نقياً خالصاً من كل اختلاط بدم آخر عبر آلاف السنين وبرغم انتشار اليهود في أنحاء الأرض من الحبشة إلى آلاسكا .

ومع ذلك فإن التاريخ وعلم الأجناس يقولان غير ذلك :

فالتاريخ يحدثنا عن ثلاثة طرق رئيسية تشمل خطوط الانتشار الكبرى

للدين اليهودى واعتناقه من قبل الشعوب الأخرى وفى بعض الأحيان من قبل شعب بأكمله^(١) .

الطريق الأول : نحو شرق فلسطين وغربها .

الطريق الثانى : طريق القوقاز .

الطريق الثالث : طريق أوروبا .

ففى الطريق الأول سار سبي « بنوخذ نصر » إلى بابل (عام ٥٩٧ ق.م) بعد عدوانه على بلاد الشام كلها وأسره للآلاف من أهلها وأخذهم إلى بابل ومن العراق انتقلوا إلى إيران وتركستان - كما سلك اليهود فى عهد التشتت طريقاً غربياً إلى مصر وبرقة وبلاد المغرب وأسبانيا والبرتغال .

وهذه الطائفة التى انتقلت شرقاً وغرباً تشكل طائفة اليهود الشرقيين وعددهم حوالى ٦٠٪ من يهود العالم - وعلى الرغم من أن هؤلاء أقل اختلاطاً بالغير من سواهم من اليهود فإنه من الثابت عند علماء الأجناس أنهم يشتملون على عناصر جنسية متعددة . والطريق الثانى الذى سلكه اليهود هو طريق القوقاز . ولقد كان اليهود فى العصور الوسطى يؤلفون مجموعة كبيرة فى بلاد القوقاز وكان وجودهم هناك من جملة العوامل التى أدت إلى انتشار الدين اليهودى بين شعب الخرز فى أيام الإمبراطور شارلمان ، فى ذلك الوقت اعتنق شعب الخرز جميعاً الدين اليهودى ويفسر ذلك الاعتناق بعدة تفسيرات منها أن قبائل الخرز كان يحيطها المسلمون فى فارس من جانب والمسيحيون فى بيزنطة من جانب آخر . ولم يشأ زعمائها أن يغضبوا أحد الفريقين إذا اعتنقوا ديانة الطرف الآخر ، شاعتقرا اليهودية .

الطريق الثالث الذى سلكه بنو إسرائيل فى انتشارهم ، وأدى إلى الانتشار الواسع للدين اليهودى على طول هذا الطريق وعلى الأخص بين الشعوب

(١) حسين جميل - بطلان الأسس التى أقيم عليها للوحدة الإسرائيلى على الأرض العربية وسلامة الموقف العربى من القضية الفلسطينية - دار الجمهورية - بغداد عام ١٩٦٨ م - المؤسسة العامة للصحة والطباعة .

الجرمانية والسلافية في حوض نهر الراين . وفي بولونيا وروسيا الغربية ، أن هذا الطريق - طريق أوروبا - وهو أهم الطرق الثلاثة وأعظمها خطراً في تاريخ اعتناق اليهودية من قبل الشعوب الغربية عن بني إسرائيل - وليس هناك أدنى شك أن شعباً يهودياً كبير العدد قد تم تكوينه قبل ميلاد المسيح بحوالى قرنين أو ثلاثة قرون في الحوض الشمالى لنهر الراين (وهذه المجموعة الكبيرة من اليهود يطلق عليها اسم اليهود الغربيين) .

وبالإضافة إلى الحقائق العلمية المتقدمة التى تدل على انتشار اليهودية عن طريق التبشير واعتناقها من قبل شعوب أخرى غير بني إسرائيل ، فإن هناك أرقاماً وإحصائيات لها دلالتها في تأكيد الحقيقة المتقدمة وهى أن اليهود ليسوا جنساً ينتمى إلى بني إسرائيل الذين تتحدث عنهم التوراة بل هم من سلالات متعددة - إحداهما بنو إسرائيل - يجمعهم الانتماء إلى الديانة اليهودية . ومن الأرقام والإحصائيات التى يروىها التاريخ نتبين ما يلى :

(١) قدر عدد اليهود في الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادى بما يتراوح بين ٤ ملايين و ٧ ملايين .

(٢) أن عدد اليهود عند الخروج الأخير من فلسطين عام ١٣٥ م - كان ٤٠ ألفاً في عهد الإمبراطور الرومانى (مادريان) بسبب اضطهاده لهم .

(٣) ويقدر الكتاب السنوى اليهودى الأمريكى عدد اليهود في أول عام ١٩٦٦ بـ ١٣ مليوناً و ٤٠٠ ألفاً وبمقارنة الأرقام المتقدمة يتبين أن اليهود ضاعفوا أنفسهم بين ١٠٠ إلى ١٨٠ مرة خلال أقل من ٤٠٠ سنة في حين أنهم لم يضاعفوا أنفسهم إلا ضعفاً واحداً في الألف و ٤٠٠ سنة الأخيرة .

هذه النتيجة تفسر لنا الزيادة الأولى التى هى من ١٠٠ إلى ١٨٠ ضعفاً بأنها تمت بانتحاء شعوب جديدة إلى اليهودية كما يروى لنا التاريخ - لأن هذه الزيادة لا يمكن أن تكون نمواً طبيعياً - فإنهم لم يزدادوا في خلال الألف وأربعمائة سنة الأخيرة إلا ضعفاً واحداً ، ذلك لأن حركة انتحاء

شعوب جديدة إلى اليهودية في القرون الأخيرة قد توقفت .

التيجة التي نصل إليها في هذا الموضوع أن الانثروبولوجيا - علم الأجناس - وقوانين الوراثة المساعدة لها والحقايق التاريخية تقرر أن يهود اليوم ليسوا جميعاً من نسل بني إسرائيل وأن الأغلبية منهم ينتمون إلى سلالات بشرية متعددة وإلى أجناس مختلفة متباينة في صفاتها ومميزاتها وذلك نتيجة لاعتناق اليهودية من قبل أقوام أخرى في أنحاء متعددة من العالم وفي عصور مختلفة - وهكذا يتضح أنه لا جامع يجمع بين اليهود اليوم سوى اعتناقهم للديانة اليهودية مما ينضح كذب الادعاء الصهيوني الذي قامت على أساسه دولة إسرائيل وزيفه .

وبعد هذا العرض التاريخي الذي يهدم الدعوة الصهيونية من أساسها تنتقل الآن لدراسة الأسس الأيديولوجية للدعاية الإسرائيلية الخارجية وهي لا تقل في كذبها وزيفها عن الدعوة الصهيونية نفسها .

الأسس الأيديولوجية للدعاية الإسرائيلية الخارجية :

قبل أن نتحدث عن أساليب الدعاية الإسرائيلية يجب أن نضع نصب أعيننا حقيقتين هامتين :

أولاً : أن السياسة الخارجية لإسرائيل الدولة منذ قيامها عام ١٩٤٨ لا ترجمها حكومة إسرائيل وحدها وإنما ترجمها الصهيونية العالمية موزعة في بلاد العالم بنزعاتها ومطامعها كما تحمل مسؤولية تنفيذها بما تمارسه من ضغوط على حكومات الدول الغربية وبما تؤديه من دعم مالى وسياسى وبشرى . . بل إن لوئيس المنظمة الصهيونية العالمية وقادتها ولرئيس المؤتمر اليهودى العالمى وقادته ولرؤساء المنظمات والهيئات الصهيونية المختلفة في الدول الغربية مراسم وأوضاع مقررة في حكومة إسرائيل ولهم أهولهم المسموعة في توجيه أمورها وذلك منذ خطط لإنشاء إسرائيل حتى إعلان قيامها في مايو ١٩٤٨ وإلى الآن .

ثانياً : أن الصهيونية العالمية حددت سياستها الخارجية في نهاية القرن (١٩)

ولا تزال هي وإسرائيل تعتنق هذه السياسة إلى حد كبير^(١) .

وتستمد إسرائيل حملتها على العرب من عدة حجج تجبّد تدبيجها وهي :

١ - تقول الدعاية الإسرائيلية إن الصهيونية ماهي إلا تعبير عن إيمانها بالعاملية لأنها تجمع الإسرائيليين في كل مكان بغض النظر عن إقامتهم داخل إسرائيل نفسها برابطة التضامن العالمي ، هذا عدا أنها تناصر قضايا الشعوب السوداء وتدافع عن زنوج أمريكا وتدافع عن قضايا الشعوب الملونة وترتفع إلى التهمة عندما تطالب بالتعايش السلمى مع العرب أنفسهم .

٢ - توضح الدعاية الإسرائيلية أن إسرائيل تؤمن بمبدأ المسؤولية التاريخية الذى يتمثل في أن الوضع القائم في المجتمع العربى قد تحدد بإرادته - أو بعدم إرادته - في التخلص من وضع التخلف الذى وجد عليه منذ الحكم العثماني .

٣ - تشدد دعايتهم بمسئولية الشعب الألماني عما اقترفه بالنازى وهتلر في أجدادهم وآبائهم فيما أسمته « بعقدة الذنب » والتي تطالب من خلالها بالتعويضات المالية لإزالة جزء من أثار أخطاء الشعب الألماني التاريخية .

٤ - تردد تلك الدعاية أن إسرائيل حقيقة تاريخية وجدت منذ وجود الديانة اليهودية ، وأنها ترتبط بالوجود الغربى ، فاليهودى يرتبط بالتطور التاريخى الذى أصاب المجتمع الأوروبى خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر . وتحاول إسرائيل - ولو بالأكاذيب والتحايل - أن تقدم نفسها في صورة من صور المذاهب السياسية المعاصرة في أتق صورها وأعظم مظاهر التعبير عنها . وهنا يجب أن نعرف ببراعة الدعاية الإسرائيلية فهي تحدث الاشتراكي بلغته وتقدم له من نظمها ما يعبر عن النظم الجماعية وبصنعة خاصة في استغلالها الزراعى . وهي تغازل الديمقراطية بأسلوب نظامها السياسى الحزبى وبخصائص العلاقة بين الطبقة الحاكمة والمحكومة حيث تفرض على السلطات الحاكمة الرقابة

(١) سيد نوفل : مدخل إلى سياسة إسرائيل الخارجية .

الشعبية بمختلف صورها وتسمح بحق المناقشة فضلاً عن حماية الحريات الفردية ، ثم هي تذكر المؤمن بالنازية والنظم الدكتاتورية بأن عقيدتها السياسية هي عقيدة في جوهرها هيكلية وأن نظامها الحزبي ليس إلا صورة حديثة للنظم التي قدمتها إسبرطة في الحضارة اليونانية . وهكذا تجعل كل مذهب سياسي يرى إسرائيل صورة لذلك الوجود السياسي الذي كان يتبنى تحقيقه أو يسعى إلى تحقيقه (١) .

٥ - تكرر دعوتهم أن إسرائيل دولة عصرية تمثل أقصى درجات التقدم التكنولوجي والاجتماعي وأنها استمرار للحضارة الغربية وهي حلقة الوصل بين الغرب والشرق برغم أنها تنتمي إلى منطقة الشرق الأوسط جغرافياً - وأحياناً حضارياً - وهي بذلك لها الحق لكل الحق في التدخل في مشكلات هذه المنطقة ، بل وتصل الدعاية الإسرائيلية إلى أبعد من ذلك حين تقول إن إسرائيل مدعوة - كدولة متقدمة - لأن تؤدي وظيفتها الكبرى في مجتمع يسوده التخلف والبربرية والتفرقة والوحشية والتناقض وعدم الثقة . .

٦ - تطالب الدعاية الإسرائيلية ليس بالمساواة بين الشعوب فحسب ولكن بالمساواة بين أبناء الشعب الواحد ولذلك نجدتها تتبنى بعض القضايا التي تدل على التفرقة بين أفراد الشعب لأواحد (فنجدها تدافع عن قضية الأكراد وهي تهاجم ما تزعمه من موقف النظام المصري من الأقلية القبطية) (٢) .

٧ - تركز الصهيونية العالمية كل نعماتها على التقدم لا على الأخلاق فهي نادراً ما تمس القضايا الأخلاقية ذات الشمول كالتفرقة العنصرية وحق تقرير المصير ومكافحة الاستعمار لأنها ذات طابع أيديولوجي عميق ، وإذا حدث أن تناولتها فلإنما تناولها من حيث وضعها الخاص ومصلحتها الذاتية وحدها وإذا تحدثت عن التفرقة العنصرية لم تتكلم عن جنوب أفريقيا أو أمريكا وإنما عن اللاسامية فقط . وإذا تحدثت عن حق تقرير المصير فإنها

(١) د. وحامد ربيع ، فلسفة الدعاية الإسرائيلية - بيروت ١٩٧

(٢) المرجع السابق ص ٥٨ .

لا تقصد إلا حقها في البقاء وفرض الصلح على العرب ، وإذا تكلمت عن الاستعمار فإنما تقصد به (الاستعمار العربي في التين) أو (الاستعمار الشيوعي في فيتنام) وهذه الزاوية الضيقة في معالجة القضايا الأخلاقية ذات الطابع العقائدي تنجى إسرائيل من مآزق أيديولوجية وفكرية كثيرة . . . ومن هنا جاء تركيزها في الدعاية على التقدم والبناء والتعدي . . . إلى آخر الأسطورة ، وأسطورة التقدم والنجاح عادة هي أكثر الأساطير رواجاً في الدول الغربية لأنها تحمل ضمناً معنى انتقال شعلة الحضارة الأوربية إلى الشرق^(١) .

٨ - وتصور إسرائيل العرب أمام الرأي العام العالمي على أنهم قوم متخلفون يرفضون التقدم الحضارى وعلى أن نظام الحكم العربي دكتاتورى متعصب لا يريد سوى مهاجمة إسرائيل والتخلص منها بل ويتخذ من وجود إسرائيل ذريعة لبقاء نظم عسكرية عنصرية رجعية ، وأن هناك درجة كبيرة من عدم التنظيم في شؤونهم السياسية والإعلامية ؛ كما أنها تحاول التشكيك في مبدأ الوحدة العربية فتبرزه على أنه أسطورة لا وجود لها وتستدل على ذلك بالخلافات القائمة بين الحكومات العربية في المجالات المختلفة كما تبرز الوحشية العربية المزعومة في اضطهاد اليهود والأقليات الأخرى مثل الأكراد والمسيحيين وأن هذه الدول تبلغ في تعصبها الحد الذى يجعلها حتى عندما تستقبل المبادئ السياسية العصرية الغربية تصبغها بصبغة محلية تفقد معها ومدلولها العصري^(٢) .

هذا فضلاً عن اتهام الثورة المصرية بأنها (نازية ناصرية) وبأن العرب يريدون الحرب دائماً أما إسرائيل فإنها تريد السلام^(٣) .

٩ - وتصور الدعاية الصهيونية إسرائيل أمام العالم بأنها هي تلك الحقيقة التاريخية التي تبلورت في منطقة فلسطين ، والتي ترتبط حضارياً بالوجود الغربي أو هي تلك الدولة الوحيدة النقية العنصر في المنطقة مع التجادل الكامل

(١) محمد أحمد رمضان - دعواتهم نصف الحرب دارالكتاب العربي - القاهرة .

(٢) حامد ربيع : المرجع السابق ص ٦٠ ، ٦١ .

(٣) عبد اللطيف حسنة : الإعلام والدعاية ص ١٩٢ بغداد ١٩٦٦ .

للفروق الجسدية الواضحة بين « الفلاشة » ذوى البشرة السوداء ويهود بولندا شقر الوجوه ، أو بين يهود كاي فينج الصينيين ويهود اليمن - وهذه الأسطورة تكذبها كل حقائق العلم ووقائع التاريخ اليهودى نفسه ^(١) .

زيف الدعاية الإسرائيلية :

وإذا كانت الصهيونية تتهم الدول العربية بالعنصرية في كافة دعائتها - فليس هناك أدلة على كذب ادعائها أكثر مما أعلنه إبنى أشكول (رئيس وزراء إسرائيل السابق) وهي أن اضطهاد اليهود الملونين داخل إسرائيل يمثل أخطر مشكلة تواجهها ^(٢) . وهكذا فالعنصرية أساس رئيسى من أسس إسرائيل تنشط خارجياً وداخلياً على جبهته العربية واليهودية الشرقية على السواء ^(٣) ونحن نستطيع أن نلمس بعمق بعض السر الكامن وراء هذا التمييز العنصرى والحضارى والاقتصادى بين يهود إسرائيل ، بل وعمق الفهم والإدراك لهذا المخطط فهى - أى إسرائيل ليست سامية - فالحقيقة الواقعة هى أن اليهود غير الساميين هم الذين يمارسون فعلا السطة والقهر والنفوذ فى داخل دولتها وكيانها ، وجريدة « ها آرتس » الإسرائيلية ترى أن « الحكومة الصهيونية » تواجه مهمة غير منظورة هى : جلب ثقافة أوربية إلى اليهودية الشرقية . كما أن يهودياً من أصل « مراكشى » يعبر عن ذلك بقوله « إن هذه البلاد طيبة . ولكن شعبها ردىء ، إنهم لا يعطوننا ما نريد ، نحن كأبناء نثروجة المكروهين ، وكل مهاجر لا يعرف « الأيديش » (وهى اللغة التى يتكلمها الاسكناز ولا يعرفها الشرقيون) مضطهد » .

على أن عنصرية إسرائيل وشلها الفاشية تبدو بأقبح مظاهرها فى ميدان التربية والتعليم فكما هو معروف فإن وحدة التكوين السيكولوجى هو أحد الأعمدة التى يقوم عليها بنیان الأمة . وبطبيعة الحال يعطى القادة الصهاينة أهمية كبرى

(١) إسماعيل صبرى عبد الله : فى مواجهة إسرائيل ص ٣٩ - دار المعارف .

(٢) مجدى فهمى : المعركة بين العرب وإسرائيل - أزمة إسرائيل من الداخل ص ٩١ - ٩٢ .

(٣) محمد حمارة : إسرائيل هل هى سامية ص ١٦٧ - ١٦٨ .

للتأثير الفعال على التكوين السيكولوجي ، ومن هنا فإن كافة البرامج التعليمية في إسرائيل تسمى إلى ترويض فكرة أن اليهود هم شعب الله المختار ونشر الأفكار العنصرية الصريحة . وتبدأ عادة دائرة الأفكار - التي يسم بها الصهاينة عقول الجيل الجديد والتي يرجى لها أن تستقر في وجدانهم على نحو يستحيل معه اقتلاعها بعد ذلك - بالثورة .

ففي سنوات التعليم الإلزامي الثمان تشغل دراسة التلذود وغيره من الكتب الدينية ١٥٠٠ ساعة بينما تخصص لدراسة جغرافية العلم الخارجي ٢٠ ساعة . بل إن حديقة الحيوان في القطاع الإسرائيلي من انقراض المحطة لا تحتوي إلا على تلك الحيوانات التي « تشرفت » بورود ذكرها في التوراة وتوجد على كل قفص لوحة مكتوب عليها اسم الحيوان والعبارة التي ورد ذكره فيها في التوراة .

وفي كل مكان في إسرائيل يرتفع قول التوراة . « هذه أرضكم يا بني إسرائيل » . . ويلقن الصغار بقية العبارة عن ظهر قلب . . « من النهر المصري إلى النهر العظيم . . انقرات » . وهنا أصل فكرة إسرائيل الكبرى التي تؤكد الأطماع التوسعية السابقة واللاحقة في اغتصاب الأراضي العربية وإبادة الجنس العربي باسم الدين .

ولقد قام العالم الأمريكي ج . تاهارين الذي أقام فترة طويلة في إسرائيل بإجراء بحث مثير على طلاب المدارس الإسرائيلية خرج منه باستنتاجات ذات مغزى كبير ودلالات ملفتة للنظر .

فقد وزع تاهارين ١٠٦٦ بطاقة استطلاع رأى ذات مضمون موحد على ٥٠٣ طالبة و٥٦٣ طالباً من تلاميذ فصول مدارس إسرائيلية مختلفة . وكان موضوع الاستطلاع يتعلق بكتاب « عيسوس نافين » وهو مأخوذ عن التوراة ، ويدرس لتلاميذ من الصف الرابع حتى الثامن .

وهذا نص الاستطلاع : « تعرف جيداً الفقرات التالية من كتاب عيسوس نافين : « هاج الشعب ونفخ في المزمار ، وما إن سمع صوت الشعب

المزامير حتى هاج كله في وقت واحد وأطلق صيحة مدوية وعنيفة وتهلمت جدران المدينة كلها حتى الأساس ، وانطلق الشعب كله في المدينة ، كل من ناحية تقدم ، واحتلوا المدينة ، وصبوا الاعنات على كل ما في المدينة من رجاء ونساء ، وصغار وكبار ، وثيران ، ونعاج وحمير ، حتى أتوا على كل شيء عن آخره (٦ ، ١٩ ، ٢٠) في ذلك اليوم دخل عيسوس « ماكيد » فتهربها وملكها بجد السيف وسلط عليها اللعنة وعلى كل ما فيها من كائن يتنفس ، لم يبق على أحد قط ، لا الذين بقوا في موقعهم ولا الذين لاذوا بالفرار ، وكرر مع ملك « ماكيد » ما سبق أن فعله بملك « أوريجون » ثم مضى عيسوس يتبعه كل الإسرائيليين من « ماكيد » إلى « ليفنا » وأوقع الرب هذه المدينة أيضاً في قبضة بني إسرائيل فأخذوها وملكها ، ووجد السيف دمرها عيسوس وأباد كل ما فيها من كائن يتنفس ، لم يبق على شيء فيها ، من بقي في موقعه ومن لاذ بالفرار ، وفعل بملكها مثل ما فعله بملك أوريجون (١٠ ، ٢٨ ، ٣٠)

أجب من فضلك على السؤالين التاليين :

١ - هل ترى أن عيسوس نافين والإسرائيليين قد أصابوا أو أخطأوا ؟ مع توضيح السبب في تكوين الرأي الذي تختاره .

٢ - افرض أن الجيش الإسرائيلي قد استولى أثناء الحرب على إحدى القرى العربية فهل تقرر أم ترفض أن يفعل بأهالي هذه القرية ما فعله عيسوس نافين بأهالي أريجون ؟ وضع السبب

ويقول تهاارين : إن إبادة الجنس تنعكس في قصص أخرى كثيرة تحفل بها التوراة ، ولكني اخترت هذه القصة بالذات لأهميتها في البرنامج الدراسي الإسرائيلي .

وقد وزعت بطاقات استطلاع الرأي على عدد من مدارس تل أبيب وقرية متاخمة لمدينة الرملة ، ومدينة شارون ومستعمرة ميوتشاد وغيرها .

وهذه بعض الإجابات :

كتب تلميذ من مدينة شارون ما يلي : « إن هدف الحرب هو الاستيلاء على أرض إسرائيل ، ولهذا فخيبراً فعل الإسرائيليون بالاستيلاء على المدينة وقتل سكانها . إذ ليس من المرغوب فيه أن توجد عناصر أجنبية في إسرائيل ، فقد يكون لوجود سكان يدينون بأديان أخرى أثر ضار على الإسرائيليين » .

وكتبت تلميذة من مستعمرة ميتوتشاد ما يلي : « خيراً فعل عيسوس نافين بغزو المدينة وقتل السكان في أريجون ، ذلك أنه لم يكن لديه متسع من الوقت للانشغال بأمر الأسرى » .

وعلى وجه العموم فقد تراوحت نسبة الإجابات المشابهة من ٦٦ إلى ٩٥ / بتغير المدرسة أو المدينة أو المستعمرة .

وقد أجاب ٣٠٪ من التلاميذ بالإيجاب على إمكانية إبادة جميع سكان قرية عربية محتملة في أيامنا هذه .

وفي هذا الشأن تقول إجابة تلميذة في الصف السابع : « في رأي أن كل شيء قد تم كما ينبغي ، فقد كنا نريد قهراً أعدائنا وتوسيع حدودنا ، وبنفس الطريقة يمكن قتل العرب كما قتل عيسوس نافين وبنو إسرائيل أهالي أريجون » .

ويقول تلميذ في الصف الثامن : « في رأي أنه يتحتم على جيشنا أن يفعل بأهالي القرية العربية ما فعله عيسوس نافين بأهالي أريجون ، فالعرب هم أعداؤنا وحتى في الأسر لا بد أنهم سيحاولون انتهاز الفرصة لفتك بحراسهم^(١) .

تلك هي بعض الثمار الملموسة لسياسة التعليم الصهيوني ، وهذه الثمار لم تنضج من تلقاء نفسها وإنما على شجرة الأيديولوجية الصهيونية التي تضرب جذورها الفاشية إلى أعماق بعيدة .

وهذا يوضح مدى كذب الدعاية الصهيونية في ادعائها الديمقراطية والاشتراكية . .

(١) يوري إيفانوف - الصهيونية حذار . ص ٤٢ - ٤٤ .

تخطيط الدعاية الإسرائيلية الخارجية :

استكمالا لبحثنا هذا عن الدعاية الإسرائيلية تناول في السطور التالية أسلوب إسرائيل في تخطيط دعائها الخارجية ، فالمعروف أن الدعاية الإسرائيلية الخارجية تقوم على أساس تصنيف الجمهور الخارجي المستقبل لها إلى فئات ثلاث :

١ - جمهور موالي ومعظمه من اليهود

٢ - جمهور معادى ومعظمه من العرب والمسلمين

٣ - جمهور محايد أو شبه محايد

ونعرض فيما يلي لأسلوب الدعاية الإسرائيلية في مخاطبة كل فئة من هذه الفئات .

أولاً : الجمهور الموالي :

يتمثل الجمهور الموالي لإسرائيل في الجماعات والمنظمات الصهيونية في أوروبا وأمريكا وبعض جهات آسيا وأفريقيا وكذلك المجتمعات التي تؤيد إسرائيل والصهيونية العالمية وذلك بسبب ترابط مصالحها الاستعمارية .

وتكون المنظمات الصهيونية الموالية لإسرائيل أداة دعائية تعدل على ترويج مبادئ الصهيونية بين اليهود الذين يعيشون خارج إسرائيل وتشجعهم على الهجرة إليها كما أنها تنظم المظاهرات التي تؤيد أو تعارض مواقف دولية معينة طبقاً لنوع هذه المواقف وتجاهها بالنسبة لإسرائيل والصهيونية، كما أن هذه المنظمات هي التي تمتلك معظم المشاريع الاقتصادية والإعلامية الهامة في أوروبا وأمريكا ولذلك فإسرائيل تستخدمها كأداة ضغط على حكومات الدول الموجودة بها من أجل ضمان وقوف هذه الدول إلى جانبها مادياً ومعنوياً . ولعل أبرز ما تقوم به هذه المنظمات دورها في انتخابات الرئاسة الأمريكية كل أربع سنوات ، والذي تكشفه التصريحات المشابهة أو المتطابقة لكل مرشحى الرئاسة الأمريكية سراعاً من الحزب الجمهورى أو الديمقراطى المؤيدة لإسرائيل والصهيونية العالمية ، مثل هذه المنظمات يكون دور الدعاية المرجحة إليها من إسرائيل دوراً إعلامياً بحثاً لا يقوم على الاقتناع بفكرة مضادة أو تحويل وجهات النظر وإنما يقوم بتدعيم الأفكار الصهيونية لديهم .

أما الجمهور الموالي غير المنتمى إلى المنظمات الصهيونية أو غير اليهودي . فيقتصر دور الدعاية الإسرائيلية بالنسبة له على تأكيد الادعاءات والمزاعم الصهيونية ومحاولة تحصيله بصفة مستمرة ضد أى دعاية مضادة . وبما يساعد الدعاية الصهيونية في هذا المجال موقف الحكومات المؤيدة لإسرائيل دون تحفظ وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية .

وتستغل الدعاية الإسرائيلية في توجيهها لجمهور الموالى لما بعض المناقضات الموجودة في العالم العربي . وبعض التصريحات غير المدروسة التي كان ينادى بها بعض الزعماء العرب من حين إلى حين آخر . وتذكر على سبيل المثال تصريحات ما قبل حرب يونيو ١٩٦٧ التي كانت تنادى بمحو إسرائيل من الوجود .

فقد التقطت الدعاية الإسرائيلية عندئذ تلك التصريحات لكي تدعم الصورة الذهنية الوهمية التي كانت تحاول أن تؤكد لها لدى الرأي العام العالمي عن التشابه الأصيل بين أساليب النازية الألمانية والقومية العربية ، ولكي تؤكد حتمية التناقص اليهودي في جميع أنحاء العالم حول الحركة الصهيونية وحول دولة إسرائيل الملاذ الأمين لجميع يهود العالم ضد الاضطهاد والعنصرية .

ومن الطبيعي جداً أن يكون الجمهور المؤيد لإسرائيل تأييداً كاملاً إلى حد التعصب جمهوراً معادياً للعرب .

ثانياً - الجمهور المعادى :

تركز الدعاية الإسرائيلية على هذا النوع من الجمهور تركيزاً شديداً ، ويمكن تقسيم هذا النوع من الجمهور إلى قسمين :

- ١ - جمهور عربي معادى للوجود الإسرائيلي والمنطق الصهيوني أساساً .
- ٢ - جمهور غير عربي معادى للكيان الإسرائيلي والمنطق الصهيوني أو معارض لمواقف معينة تتخلها إسرائيل .

وتستند الدعاية الإسرائيلية الموجهة إلى الشعوب العربية على النظرية النازية في الدعاية المستقاة من أفكار فرويد الذي يرى في الإنسان مجموعة من العقد

والنقائص . بهذا المعنى فهو تصفى إلى المواطن الممتلى* بهذه النقائص والذي يعانى بالتالى من حالة تعذيب نفسية . ثم تتجه إليه فى عملية تضخيم وتشويه للعقد الكامنة بحيث يكون رد الفعل هو الاستجابة إلى ذلك الموقف الذى تسعى إلى الوصول إليه من عملية الدعاية^(١) .

وهذا هو ما تمارسه الدعاية الإسرائيلية بالفعل إزاء الشعب العربى وما يمكن ملاحظته بسهولة من متابعة برامج الإذاعة الإسرائيلية الموجهة باللغة العربية قبل معركة ٦ أكتوبر المجيدة من استغلال للوضع العربى المشبع بروح الهزيمة ، والوضع الاقتصادى المتضعف ، والموقف الدولى الذى لا يشجع على وجود أى أمل فى ضغط دولى لانسحاب إسرائيل من الأراضى المحتلة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، بالإضافة إلى غياب الترابط العربى وما اصطلح على تسميته بوحدة الصف العربى ، ولذلك فإن الدعاية الإسرائيلية التى كانت موجهة إلى العرب عندئذ لم تكن تقوم على الاقتناع المنطقى بقدر قيامها على استغلال الوضع العربى السيئ ، وتحت تهديد هذه الظروف حاولت الدعاية الإسرائيلية مستخدمة كافة الأساليب الإعلامية المستقاة من الدعاية الإغراقية الأمريكية السابق الحديث عنها وبالتعاون الوثيق معها بث روح الهزيمة واليأس بين صفوف العرب بل والأخطر من ذلك أنها وجدت بعض الكتاب العرب الذين يروجون لمثل هذه المزاعم من غير وعى فى أغلب الظن ، أو هكذا نرجو على الأقل^(٢) .

وهكذا وجهت إسرائيل دعايتها إلى جماهير الشعب العربى قبل ٦ أكتوبر على أسس نفسية خالصة مستهدفة فى المقام الأول ترسيب الشعور بالمذاتة والهوان والتخلف الأبدى وعدم القابلية للتقدم وبث شعور الذعر والانهيال والتسليم التام بالتفوق الإسرائيلى الساحق والتأكيد القوى على أن إسرائيل قلعة صامدة إلى أبد الدهر وأن من صالح الشعوب العربية السعى إلى خطب ودها وصدقتها وإلا فليس أمامها سوى الدمار الشامل والتشرد المطلق .

(١) د. حامد ربيع « فلسفة الدعاية الإسرائيلية » ص ٤٩ .

(٢) مختار التهامي : تحاليل مضمون الدعاية فى النظرية والتطبيق - دار المعارف - القاهرة .

وتمهيداً لهذا الاستسلام المشهود وتبريراً له ، أُلقت الدعاية الإسرائيلية عبء الحرب والأزمات التي نشبت بين العرب وإسرائيل على عاتق حفنة من الزعماء العرب وليس على الشعب العربي .

وإل عبور ٦ أكتوبر العظيم كان أبلغ رد من جانب شعوب الأمة العربية بأكلها على ادعاءات الدعاية الإسرائيلية المزهوة الداقة للأسافين .
أما في مجال الدعاية الموجهة إلى شعوب الدول الإسلامية غير العربية فإن إسرائيل كانت تعمل حتى معركة ٦ أكتوبر على تجنب اشتراك هذه الدول الإسلامية .

وقد نجحت في ذلك مع بعض منها وخصوصاً تركيا وإيران بل إن إسرائيل في هذا المجال لم تقف عند هذا الحد بل إنها حاولت فصح عرى التعاون بين الدول العربية والإسلامية وذلك بتصوير العرب على أنهم عنصريون لا يحبون الإسلام . فقد تلقت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية صرورة من خطاب بعث به مواطن تنجانيقي قبيل حرب أكتوبر اريين وزراء المملكة الأردنية الهاشمية جاء فيه أنه يوجد في إسرائيل نحو ٥٠ سيدة تنجانيقية يتلقون دراسات مختانة لمدد طويلة وقصيرة ومعظمهم زوجات وبنات زعماء مسلمين ، وتنظم لمن إسرائيل محاضرات مرضعها . العرب الذين لا يؤمنون بالدين لإسلامي^(١) .

أما بالنسبة للدول المعسكر الاشتراكي ، والتي تقف معظمها من إسرائيل موقف العداء باعتبارها طليعة أداة للامبريالية العالمية في منطقة الشرق الأوسط ونظراً لأن هذه الكتلة ترفع شعار محاربة الاستعمار في كل مكان . ورغم أن هذه الدول ترتبط جميعها برباط النظام الاجتماعي الموحد ، وهو النظام الشيوعي وبرغم وجود منظمات دفاعية واقتصادية تجمعها في إطار واحد . ونقص ذلك منظمة حلف « وارسو » في المجال العسكري ، والكوميكون في المجال الاقتصادي .
برغم ذلك كله فقد اتبعت الدبلوماسية والدعاية الإسرائيلية مع هذه الدول مبدأ تجاهل وجود سياسة خارجية مرحدة لهذه الكتلة وسعت للتعامل معها كل على حدة ويتضح ذلك من تصريح لأبا إيبان قال فيه (إن إسرائيل لا تعامل هذه الدول

(١) حامد ربيع ، الدعاية الصهيونية ص ١٥٩

ككتلة شرقية ، ذلك أنه بالرغم من الفلسفة الاجتماعية التي ترتبط بينها جميعاً إلا أن كلا منها تعتبر دولة مستقلة ذات سيادة (١) .

وكانت إسرائيل بذلك تحاول أن تكون لها قاعدة رسمية في هذه الكتلة تؤيدها خاصة وأن هناك رصيماً هائلاً من المستوطنين اليهود في أوروبا الشرقية وروسيا كانت تطمح إلى تهجيرهم بعد إنشاء مزيد من المستعمرات الإسرائيلية عقب حرب يونيو ١٩٦٧ ، وبرغم أن موقف معظم دول هذه الكتلة من إسرائيل عقب هذه الحرب قد تغير كلياً - فقد قطعت هذه الدول باستثناء رومانيا علاقاتها السياسية مع إسرائيل - فإن رد الفعل الإسرائيلي كان ولا يزال يتبع (سياسة الصبر اليقظ الذي يتمثل في العمل الدائب الصبور وعدم الاستهانة بأي مظهر من مظاهر الاتصال والصدقة يمكن الحصول عليه (٢) .

ولقد اعتمدت الدعاية الإسرائيلية على التركيز على الاتحاد السوفيتي بصفة خاصة بعد حرب ١٩٦٧ نظراً لموقفه الإيجابي مع الدول العربية ومساعدته العسكرية الكبيرة لهذه الدول لصد العدوان الإسرائيلي ، ولذلك فإن الدبلوماسية الإسرائيلية في الخارج والدعاية الصهيونية أخذتا تعملان على ما يلي :

- ١ - إخراج حكومة الاتحاد السوفيتي ووضعها في موضع الدفاع أمام الرأي العام العالمي مع تحاشي اتهامها باللاسامية ، ودون التعرض للعقيدة الشيوعية بشكل عام.
- ٢ - توضيح ما تعتبره « خصائص إنسانية تقدمية » في الحركة الصهيونية.
- ٣ - مطالبة الاتحاد السوفيتي بالسماح لليهود من رعاياه والبالغ عددهم حوالي ثلاثة ملايين نسمة بأن يعيشوا حياتهم الخاصة دينياً وثقافياً واجتماعياً وأن يسمح بالهجرة لمن يريد منهم ذلك .

(١) منذر عتباوي ، « أضواء على الإعلام الإسرائيلي » ص ٣٧ - دراسات فلسطينية - بيروت .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٣٧ - « ظهرت فكرة المعاداة كقاسية في الحرب العالمية

حين كان هتلر يحتقر الجنس السامى ، ويدعو للجنس الآرى ، والمعروف أن العرب أيضاً ساميون وكان هتلر يحتقرهم ويضمهم في المرتبة التالية لليهود مباشرة ، ولكن بعد الحرب استغل اليهود هذه الفكرة وأخذوا يعملون على كسب عطف الشعب الأوروبي والأمريكى ومنذ تلك الفترة ارتبطت السامية باليهود فقط .

ثالثاً - الجمهور المحايد :

هناك نوع ثالث من الجمهور الذي لا تربطه بعملية الصراع العربي الإسرائيلي روابط قوية وذلك نتيجة للبعد الجغرافي عن المنطقة بالنسبة لبعض الدول بحيث إن هذا البعد ينفي وجود مصالح جوهريّة بين دول منطقة الشرق الأوسط وهذه الدول ، أو أن يكون ذلك نتيجة علاقات على نفس الدرجة من القوة والترابط بين الدولة المعنية والدول التي يشتملها الصراع العربي الإسرائيلي أو يكون ذلك نتيجة نحياد الذي تنتهجه أو تصطنعه بعض الدول مثل سويسرا كسياسة رسمية لها .

وإذا كانت الدعاية الموجهة إلى الجمهور المؤيد تعتبر نوعاً من العمل الإعلاني السهل لتدعيم اتجاهات ومواقف معينة لدى هذا الجمهور ، وإذا كانت الدعاية الموجهة إلى الجمهور المعارض تعتبر نوعاً من الحرب النفسية التي تقوم على القهر المعنوي وقتل النفوس وهي لذلك تتطلب مجهوداً ضخماً وتكثيفاً للحملات الدعائية الموجهة التي تقابل غالباً بحملات دعائية مضادة ، إلا أن الدعاية الموجهة إلى الجمهور المحايد تعتبر نوعاً من العمل الدعائي الذي يتطلب تخطيطاً محكماً وتنفيذاً أكثر إحكاماً .

ولذلك تسعى الدعايات من مختلف الاتجاهات إلى هذا الجمهور في محاولة كسبه إلى جانبها ، ولماذا نذهب بعيداً والصراع العالمي الأساسي في عصرنا هذا صراع دعائي بين الشرق والغرب بين الاشتراكية والرأسمالية . . وكل يريد أن يثبت في عقول الشعوب الأخرى أن نظامه أفضل نظام اجتماعي وحضاري .

ولعل أول ما يلاحظ بالنسبة للدعاية الإسرائيلية هو أن المنطق الدعائي الذي توجهه إلى الجمهور المحايد تحكمه بعض القواعد العامة من حيث الجمهور ولكنه يختلف من منطقة جغرافية إلى أخرى ، ومن شعب إلى آخر حسب التراث - الحضاري الذي يحمله ، وحسب نوع العلاقات القائمة بين إسرائيل وهذه الدول

ويمكن تحديد القواعد العامة التي تحكم اتجاهات الدعاية الإسرائيلية الموجهة إلى الجمهور المخايد على النحو التالي :

١ - تضافر الجهود الدبلوماسية مع الجهود الدعائية المنظمة أو الاستعانة في ذلك بالمنظمات والجماعات اليهودية المجردة في عدد كبير من الدول .

٢ - تناسي الجوانب التاريخية للأزمة العربية الإسرائيلية وتجادل مسألة اللاجئين .

٣ - مخاطبة مراكز القوة في المجتمع أولاً وبذلك الجهود المتواصلة لتأثير عليها وكسبها في صفها .

٤ - مخاطبة الرأي العام من خلال مداخيل أو مفاتيح تسهل فهم الاستجابة لدعايتهم .

٥ - محاولة إظهار التجربة الإسرائيلية على أنها نموذج يتخذ ، وعرض هذه التجربة على الدول الأخرى .

٦ - إدخال عناصر لا علاقة لها بالقضية الفلسطينية ولكنها ترمي أخيراً إلى جعل الشعوب نفسها طرفاً في النزاع العربي الإسرائيلي متحيزاً لإسرائيل .

٧ - إثارة حملات دعائية وتكرارها لتحقيق هدف معين ولتحويل الأذهان عن أي سلوك يدين إسرائيل^(١) .

٨ - تأكيد بقاء إسرائيل وتقدمها وقدرتها على حماية نفسها واستعدادها للتعایش السلمی مع العرب^(٢) .

وحقيقة الأمر أن هذه الخطوط العامة التي تسير عليها الدعاية الصهيونية نعطي لهذه الدعاية كياناً ثابتاً واستراتيجية محددة ، خصوصاً وأن صانعي القرار السياسي في إسرائيل يتفهمون ذلك جيداً ، وهم في كل تصريحاتهم الصحفية وغير الصحفية يحرصون على أن يسيروا على ضوء هذه الخطوط .

(١) حامد عمود (الدعاية الصهيونية) ص ٨٧ - ٩٦ مكتبة الإنجلو - القاهرة .

(٢) تحيين محمد بشير : النشاط الإعلاني العربي في الولايات المتحدة - ص ٤٠ - بيروت ١٩٦٩

« فديان » مثلا كان مولعاً بالإدلاء بالتصريحات التي تقول بمناسبة وغير مناسبة (أن كل موضوع الصراع العربي الإسرائيلي يدور حول وجود إسرائيل لا أكثر ولا أقل) أو (أن أزمة الشرق الأوسط هي مشكلة بقاء إسرائيل وليست أزمة بقاء الدولة العربية) . وكأن الدول العربية هي المعتدبة دائماً وليست إسرائيل .

وإذا خرجنا عن نطاق هذه الأحكام العامة لأدركنا أن الدعاية الإسرائيلية تتنوع من منطقة إلى أخرى وهي في كل هذه المناطق تعتمد على إثارة قضايا فكرية وتاريخية وإنسانية لتبين موقف إسرائيل الإيجابي منها ، تمويهاً على حقيقتها الفشية العدوانية .

فلو نظرنا إلى قارة أفريقيا مثلا ، لوجدنا أن الدعاية الإسرائيلية كانت حتى حرب أكتوبر تتخذ طابعاً علمياً إلى حد كبير جداً بمعنى أنها لم تقتصر على مجرد النشرات والكتب الدعائية التي توزع ، وإنما عملت على استغلال حاجة معظم دول القارة إلى التنمية لكي تغمرها بخبراتها ومستشاريها الذين كانوا يقومون بعمل دعائي ضخم لإسرائيل أكثر مما يعملون لصالح بلاد أفريقيا .

وقد اتضح ذلك في أكثر من مناسبة ، وكان آخرها دور هؤلاء الخبراء في أوغندا الذي كشفه الرئيس عيدي أمين .

وهذا الأسلوب - أسلوب تصدير الخبراء - كانت إسرائيل تتبعه في جميع البلدان النامية في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . ففي سنة ١٩٦٦ وحدها على سبيل المثال شمل التعاون الإسرائيلي الدرل نحو ٧٠ دولة في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية وحوض البحر المتوسط ، وفي نفس السنة قام أكثر من ١٥٠٠ من أبناء الدول النامية بالدراسة المتخصصة في إسرائيل « ثلثهم في القطاعات المختلفة في ميدان الزراعة » ، وقام ٦٤٠ خبيراً إسرائيلياً

بالخدمة لفترات مختلفة بالخارج في إطار عمليات المساعدة التي تقدمها إسرائيل من بينهم ٢٧٥ في ميدان الزراعة^(١) .

وهكذا استطاعت إسرائيل قبل معركة ٦ أكتوبر أن ترسخ أقدامها في جهات كثيرة من أفريقية وذلك في شكل مساعدات اقتصادية أو عسكرية إلى هذه الدول لكي تؤكد لدى هذه الدول الأفريقية مدى التقدم العلمي الهائل التي تتمتع به إسرائيل - وطبعاً أن يكون العرب في الصورة المقبلة من الجهل والتأخر الاقتصادي .

وإذا تبعنا مسالك الدعاية الإسرائيلية في القارة الإفريقية لوجدنا أنها كانت تركز على النقاط التالية :

- ١ - التأكيد على وحدة التجارب التاريخية النفسية للشعوب اليهودية والإفريقي (المشاركة في التعرض للاضطهاد) .
- ٢ - التأكيد على أهمية التجربة الإسرائيلية « الفريدة والرائدة » في إنشاء الدول الإفريقية .
- ٣ - التأكيد على خلو علاقات إسرائيل بإفريقيا من الأطماع السياسية .
- ٤ - التأكيد على الدور الهام الذي يمكن أن تلعبه أفريقيا في تحقيق السلام في الشرق الأوسط^(٢) .

ولقد تجلى نجاح الدعاية الإسرائيلية بصفة خاصة في دول أفريقيا قبل ٦ أكتوبر في مجال المساعدات الاقتصادية الإسرائيلية إلى هذه الدول التي تنظر بعين الشك في أي مساعدة تقدمها الدول الكبرى إليها نظراً لأن معظمها دول حديثة الاستقلال . ولا زالت آثار الاستعمار والاحتلال عالقة بأذهان شعوبها .

(١) رد وزير الخارجية أبا إيبان حل استجواب من عضو الكنيست روى يراغ في ذلك (مخاض الكنيست) مجلة ١١ يناير ١٩٦٧ - مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية بالأهرام ص ٢٧٣ .

(٢) منذرتباري : أضواء على الإعلام الإسرائيلي ص ٤٥ بيروت ١٩٦٨ .

وفي آسيا يبدو الدور الإسرائيلي كبيراً جداً . فالدعاية الإسرائيلية تركز على أن إسرائيل كدولة أسيوية يجب أن يكون لها دور أكبر في مشاكل التنمية الاقتصادية بهذه البلدان ، لذلك تركز الدعاية الإسرائيلية على مدى التقدم العلمي والاقتصادى بها ومستوى الدخل القومى المرتفع الذى يزيد عن الألف دولار سنوياً للشخص الواحد . وتقدم نفسها كنموذج للتقدم السريع والنمو المطرد الذى تطمح كل دولة أسيوية إلى تحقيقه : كما أنها تعد لهجرة أكبر عدد ممكن من يهود آسيا إلى إسرائيل ، وهذه الفكرة فكرة مساعدة إسرائيل الاقتصادية لهذه الدول هى نفسها التى تروج لها الدعاية الإسرائيلية فى دول أمريكا اللاتينية .

أما بالنسبة لذلك الجانب من الرأى العام الأوروبى الذى يقف من الصراع العربى الإسرائيلى موقف عدم الاكتراث أو اللامبالاة فإن الدعاية الإسرائيلية تحاول جذب اهتمامه على أسس دينية خالصة بتذكيرهم بما قالته التوراة عن عودة إسرائيل إلى أرض الميعاد بالإضافة إلى ترويج الدعاية الإسرائيلية بين هذا الجمهور لادعاءاتها بأن إسرائيل هى نموذج الديمقراطية الغربية فى الشرق ، وأنها نتاج للحضارة والفكر الغربى مما يستلزم من جميع شعوب البلدان الديمقراطية الغربية مساعدتها مادياً ومعنوياً .

أدوات الدعاية الإسرائيلية :

تستغل الدعاية الإسرائيلية كل وسائل الاتصال المتاحة أمامها سواء كانت وسائل اتصال جماهيرية أم وسائل اتصال شخصية ، كما أن لها قدرة فائقة على التسلل إلى المنظمات الدولية الشعبية (غير الحكومية) .

وستحدث عن ذلك باختصار فيما يلى من سطور لمجرد إعطاء القارئ فكرة

عامة عن نشاط إسرائيل الدعائى :

أولاً - أجهزة الإعلام الجماهيرية :

الصحافة : تسيطر الصهيونية على أكثر الصحف فى العالم الغربى عامة

والأمريكي خاصة . ذلك أن الصحافة في الدول الرأسمالية تعتمد على ميزانيات خارجية نندعيم نندعيم وحتى تقف على قدميها . فمن طريق رأس المال . استطاعت الصهيونية أن تشتري الأفلام الغربية والأمريكية لخدمة قضايا إسرائيل وكسب الرأي العام العالمي ومنصرته ضد العرب وليس أدل على ذلك من أنه عندما عرضت مجلة النيوزويك Newsweek الأمريكية للبيع اشترى أكثر أسهمها أحد اليهود بمبلغ ٨٠٠ ألف دولار وأصبحت هذه المجلة التي لها شهرتها وانتشارها وتأثيرها سلاحاً دعائياً جديداً في يد الصهيونية (١) .

ومن الدراسات الهامة التي تؤكد مدى نفوذ وسيطرة الصهيونية على الصحف ومصادر الأنباء من وكالات الأنباء أو مراسلين أو غيرهم وتجديدهم لترويج لوجهة نظر إسرائيل: تلك الدراسة التي قام بها دكتور (راف كرو) أستاذ العلوم السياسية بالجامعة الأمريكية في بيروت . عن الصهيونية والصحافة الأمريكية والتي يحلل فيها بطريقة علمية إحصائية ، ما نشرته خمسة من الصحف الأمريكية الكبرى وهي النيويورك تيمز ، والنيويورك هيرالد تريبون ، والكريستيان سينس مونيتر ، وشيكاغو تريبون ، وديترويت نيوز خلال فترة محدودة ، وعن واقعة محددة . هي (عدوان الإسرائيليين على قبية في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٥٣) وهي واقعة وضع فيها جانب الحق للعرب ، وأدانت الأمم المتحدة إسرائيل إدانة صريحة قوية ، ومع ذلك فقد أظهرت الدراسة أنه من بين مجموع (١٠٣) قصة إخبارية لم يتجاوز ما اعتمد فيها على مصدر عربي سوى (١١) بينما باغت الأخبار الصادرة من نلي أيبب (٣٢) ويبلغ عدد الأخبار الواردة من مصادر أخرى كالأمم المتحدة ولندن وواشنطن أو مصادر غير معروفة (٦٠) (٢)

أي أنه كان هناك	٪١٠	مصادر عربية
	٪٣١	مصادر إسرائيل

(١) حامد محمود : الدعاية الصهيونية ص ١٠٠ - مكتبة الإنجلو - القاهرة .

(٢) حامد محمود : الدعاية الصهيونية .

ولإسرائيل أكثر من مركز إعلامي في الخارج وهي^(١) :

- ١ - مركز الإعلام الإسرائيلي في نيويورك - الولايات المتحدة
 - ٢ - " " " في باريس - فرنسا
 - ٣ - " " " في بيونس آيرس - الأرجنتين
 - ٤ - " " " في زيورخ - سويسرا
- هذا عن التوغل الرأسمالي الصهيوني في الصحف الأجنبية .

ولكن هناك وسيلة أخرى تدخل بها إسرائيل إلى عقسل العالم وهي (الصحف اليهودية) فهناك شبكة واسعة من الصحف اليهودية منتشرة في أنحاء العالم وتعتبر هذه الشبكة أكبر شبكة من نوعها تصدرها أقاليم دينية يمثل عدد اليهود . الذين لا يتجاوز عددهم ١٤ مليون نسمة في جميع بلاد العالم بما فيها إسرائيل^(٢) . وتلاعب الصحف اليهودية في كل من أوروبا والأمريكيتين دوراً كبيراً في إبراز أخبار إسرائيل وأوضاعها السياسية والاقتصادية والعسكرية .

الإذاعة والتلفزيون : تسيطر الصهيونية على محطات الإذاعة والتلفزيون في بعض بلاد العالم الغربي وفي أمريكا وذلك عن طريق سيطرة رؤوس الأموال والمهيجين على وكالات الإعلان . على سياستها وتوجيهها إلى الوجهة التي تخدم مصلحة إسرائيل . فلاسرائيل لا تترك مكاناً إلا واستغلت فيه الإذاعة والتلفزيون للدعاية لنفسها عن طريق البرامج الدعائية ، وتسيطر إسرائيل على أجهزة الإذاعة والتلفزيون في معظم بلاد العالم عن طريق الإعلانات (وتدفع مثل هذه الإعلانات من جانب المنظمات الصهيونية التي

(١) مندرجتاً في : أضواء على الإعلام الإسرائيلي ص ١٦٣ .

(٢) حامد محمود : الدعاية الصهيونية ص ١١٤ .

تتمتع بالإعفاءات الضريبية ويقدر أن الإعلان الواحد بحسبى عشرة آلاف دولار^(١)

السينما والمسرح : من الملاحظ أن الصهيونية تعمدت كل عام تقريباً سواء في مجال السينما أو المسرح أن تطلع على العلم بقصة مثيرة تذكره بجرائم هتلر والأهرال التي لاقاها اليهود على يديه وفي كل مرة يثيرون فيها مثل هذه القصة يصاحبونها بأشاعة فائنية مثل تحديد المسئولية الفردية للمواطن أمام جرائم حكومية أو تحديد المسئولية الجماعية لشعب تحكمه فئة نازية وهكذا . وفجأة تتحول هذه القصة أو المسرحية إلى حديث كل أوروبا وأمريكا مهما كانت زفةة فنيّاً . واكن من الملاحظ أن الهدف منها هو تذكير بالمأساة اليهودية وذلك في إلحاح مستمر ، وتكرار رتيب للأهوال والعذاب ومعسكرات التعذيب وغيرها التي لاقاها اليهود في الحرب العالمية الثانية ، كما أن ٩٠٪ من العاملين في علم السينما في هوليد مثلًا من اليهود ، من منتجين ومخرجين ومشرفين ورأساليين^(٢) .

الكتب : تفرق إسرائيل أسواق العالم بالكتب التي تعمد دعائها ، فقد نشرت الصهيونية كتب « الخروج » عن نشأة دولة إسرائيل ولأته بالأكاذيب والافتراءات على أصحاب البلاد الشرعيين من عرب فلسطين وأظهروهم للقارئ الأجنبي في صورة القساء غلاظ القلوب فاستطاعت بذلك أن تسند عطف الملايين نحو إسرائيل^(٣) . وتعمد إسرائيل إلى عمل أكثر من شيء في آن واحد لخدمة دعائها عن طريق الكتب :

- ١ - إصدار الكتاب وإغراق الأسواق بهذا الكتاب فقط .
- ٢ - الدعاية العريضة له في الإذاعة والتلفزيون بحيث لا يجد القارئ مفراً من شرائه لأنه مدفوع لذلك عن طريق الدعاية من ناحية ولأنه لم يجد أمامه غيره .
- ٣ - السيطرة على دور النشر نفسها .

(١) تحيين بشير - النشاط الإعلامي القوي في الولايات المتحدة - بيروت ١٩٦٩ .

(٢) حامد محسد - الدعاية الصهيونية ص ١٢١ .

(٣) المرجع السابق ص ١١٠ .

ثانياً - وسائل الاتصال الشخصي :

تؤمن إسرائيل بأهمية الاتصال المباشر مع الدول التي تربطها بها علاقات وصلات لتدعيم سياستها ومخططاتها وهذا يفسر الزيارات المتعددة التي يقوم بها المسئولون في هذه الدول لإسرائيل ، فإسرائيل بمساعدة الصهيونية العالمية تستغل هذه الزيارات استغلالاً واسع النطاق للدعاية لأهدافها والعمل على تحقيقها^(١) .
وإسرائيل تهدف من وراء هذه الزيارات المتبادلة إلى تحقيق عدة أهداف :

١ - الحصول على المزيد من التبرعات والهبات والمساعدات والأسلحة .
٢ - الحصول على التدعيم المعنوي وإثارة هذه الدول على الدول العربية وحثها على كف المعونات عنها والضغط عليها ، وكسب التأييد السياسي لهذه الدول في المحافل الدولية .

٣ - تصوير العرب بأنهم أعداء السلام وذلك بالإلحاح المستمر والترديد على أسماع زائريها أو في خطب وتصريحات المسئولين عن زيارتهم للدول الأخرى على ضرورة إيجاد حل للأزمة لضمان السلام في المنطقة ، وكأن العرب لا يريدون السلام .

٤ - وإسرائيل تستهدف التمهيد العنفي والنضحي لمشاريع تغافلها الاستعمارية في الدول النامية لاستغلال ما وادها وزيادة التبادل التجاري معها ومواجهة السياسة العربية وانعكاساتها في هذه المنطقة^(٢) .

هذا إلى جانب ما للاجتماعات والندوات العامة من أثر كبير كوسيلة من وسائل الدعاية ، وكذلك دور الحاخامات الذين يشكلون نسبة كبيرة من القيادة العليا للجماعات الصهيونية ، وتأتي أهمية هؤلاء الحاخامات في الدعاية من أن الأشخاص الذين يكونون محط الأنظار لتولى القيادة أمريل إلى مباشرة نفوذ يتعدى أعدادهم المحدودة ، وعلى هذا الأساس تسهل مهمة الدعاية

(١) حامد محمود - الدعاية الصهيونية ص ١٩٠ .

(٢) حامد محمود : الدعاية الصهيونية ص ١٦٥ .

عن طريق الأفراد من ذوى المكانة ممن يكن لهم الآخرون الاحترام والتقدير لمواقفهم واتجاهاتهم^(١) .

ثانياً - المنظمات الدولية غير الحكومية :

ومن أنجح الوسائل التى تستخدمها إسرائيل فى بث دعايتها فى الخارج (المستدروت) أى الاتحاد العام للعمال فى إسرائيل .

وقد تمكنت عن طريقه من التغلغل إلى الحركة العمالية الدولية عامة والحركة العمالية الأمريكية خاصة ، وهذا الاتحاد يسيطر على سياسته ونشاطه حزب المداى ، الحزب الحاكم فى إسرائيل ، والمستدروت نشاط دولى كبير فهو دائم الاتصال بالاتحادات العمالية - فى عدد كبير من الدول - وبجميع الهيئات الدولية التى لها صلة بشئون العمل والعدل ، وهو يحرص دائماً على حضور المؤتمرات والاجتماعات الدولية والعمالية وذلك حسب تخطيط معين ومدروس^(٢) ، ولا يقتصر نشاط المستدروت على الاتحادات العمالية فى الدول الكبرى بل إنه يعطى اهتماماً خاصاً بالدول النامية وخاصة فى بزيقيا والنول الإسلامية (إلى حد إقناع بعض قادة العمال بهذه الدول بزيارة إسرائيل كما حدث فى حارة القادة النقبانيين من أندونيسيا رهي دولة إسلامية وغير معترفة بإسرائيل^(٣) . وبقوم المستدروت أيضاً بجمع التبرعات لإسرائيل ، وقد نجح فى كسب تأييد الدول الغربية له كوسيلة لمساعدة إسرائيل سياسياً واقتصادياً .

وعدا دورها فى الاتحادات العمالية ، نجد أن لإسرائيل دور كبير فى المؤتمرات الاشتراكية الدولية والاتحادات الطلابية ، والمساعدات الفنية ، والمنح الدراسية والمعارض الدولية ومظمات الشباب (المعروفة بالناحل والجدناع) التى تستغل فى الدعاية لأهداف إسرائيل والتغلغل فى الدول النامية . كما أن لجمعيات الصداقة مع إسرائيل ، وهى التى تنتشر فى كافة الأقطار الأوروبية

(١) المرجع السابق ص ٢٠٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٨ .

(٣) حامد محمود : الكدعاية الصهيونية ص ١٣٦ .

والغربية والأمريكية واليابان ونيبال والفلبين وكوريا الجنوبية - هذه الجمعيات لها أثرها الكبير في الدعاية . ذلك لأنها تمتاز بأنها (تضم شخصيات سياسية وغير سياسية ورجعية وغير رجعية ، تتمتع بمراكز مرموقة في بلادها^(١) .

وكذلك لا يجب أن تغفل أثر التنظيمات الصهيونية واليهودية في الخارج ذلك لأنها لعبت الدور الأكبر في تثقيف يهود العالم بالأهداف الصهيونية مثل^(٢) :

- المنظمة الصهيونية العالمية

- الوكالة اليهودية

- منظمة هداسا

- منظمة النقاء اليهوديات و ويزو

- منظمة الشبيبة اليهودية

- الصندوق القومى اليهودى

- النداء الإسرائيلى المتحد .

•••

ويقول د عبد اللطيف حمزة أنه « بالرغم من كل هذه الإمكانيات التي للدعاية الصهيونية في شتى أنحاء العالم فإنها لا تستحى من استخدام طريقة الاستجداء وإظهار الضعف أمام الدول الكبرى لتكتسب عطف هذه الدول عليها من ذلك أنها تستخدم كثيراً من الشعارات الغربية في جمع التبرعات من الجمهور الأمريكى ومنها على سبيل المثال : ادفع ديناراً تقتل عربياً^(٣) .

ووضيف د حمزة : أنه من الأساليب الهامة في الدعاية أسلوب الاستعطاف بغية التأثير في نفوس الشعوب والحكومات وعليه تعتمد الصهيونية كثيراً في نشر دعايتها ضد الدول العربية في ربوع أمريكا ، وهذه الدعاية هي التي تدافع بها إسرائيل عن كيانها وبقائها في المنطقة . . .

(١) منذر هنتاوى - أضواء على الإعلام الإسرائيلى ص ١٦٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٧ .

(٣) عبد اللطيف حمزة الإعلام والدعاية ص ١٩٢ .

ومن ذلك ما تعتمد عليه الصهيونية هناك في أمريكا من استخدام عبارات مؤثرة في قفوس الشعب الأمريكي مثل قولهم (أعطرنا أنعيش) ومع هذه العبارة رسم لطفل صغير يريد الطعام فلا يجده ، وبذلك يستبدون عطف الأمريكيين ويستمدون عطاءهم^(١) .

وعلى الرغم من اتباع إسرائيل لكل هذه الأساليب الشاملة والواسعة والمتقنة في الدعاية والترويج لأهدافها وقصيتها ، على الرغم من كل هذا إلا أنها لا تعترف بأن ما تقوم به يسمى « دعاية » بل تسميه هي « إعلاماً » برغم الفرق الكبير بين الدعاية والإعلام .

وفي هذا يقول صمويل هابر « ليس هناك جماعة هادفة تعترف بأنها تمارس نشاطاً دعائياً ، ونتيجة للدلالات غير المستحبة التي ينطوي عليها لفظ الدعاية في اللغة الدارجة فإن استخدام الدعاية لا يلصق دائماً إلا بالخصوم^(٢) .

والآن وبعد أن استعرضنا أيديولوجية الدعاية الإسرائيلية وأساليبها وأدواتها ، يجدر بنا أن نتقل إلى تقديم رد الفعل العالمي تجاه هذه الدعاية الإسرائيلية الواسعة والشسولية والمتنوعة ، التي كانت حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ تخاصر العنقل الغربي حصاراً محكمة في غيبة الإعلام العربي التامة . .

ولعل النموذج التالي أن يجيب بوضوح عن هذا التساؤل^(٣) :

فقد أجرى معهد (جالوب) للرأي العام استفتاء للشعب الأمريكي عن مدى معرفته بالموقف في الشرق الأوسط ولتبيان تفكيره بالنسبة لما يجب أن يتخذ في حالة قيام حرب شاملة جديدة في المنطقة (وذلك في المدة من ٢٩ يونيو إلى ٣ يوليو ١٩٦٨) وكان من ضمن الأمثلة التي تضمنها الاستفتاء السؤال التالي :

(١) المرجع السابق ص ١٦٥

(٢) " " " " ص ١٩٥ .

(٣) تحسين بشير: النشاط الإعلامي العربي في الولايات المتحدة - أبحاث فلسطينية بيروت ١٩٦٩

إذا قامت الحرب فهل تمد أمريكا إسرائيل أو العرب بالسلح ؟

— أجاب ٢٤ / بمد إسرائيل بالسلح

— وأجاب ٣ % بمد العرب بالسلح

(كان هؤلاء هم الموافقون على مبدأ مد السلح أصلا)

— وأجاب ٥٩ % بعدم مد إسرائيل بالسلح

— وأجاب ٧٩ % بعدم مد العرب بالسلح

(وهؤلاء هم عدم الموافقون على مبدأ المد بالسلح)

وعلى أية حال فقد أثبتت دراسة جالوب أن :

٥٥ % يتعاطفون مع إسرائيل

٤٤ % يتعاطفون مع العرب

٤١ % محايدون

وليس هذا فقط ، فقد أثبتت الدراسة أن الرأى العام فى أمريكا — نتيجة الدعاية الإسرائيلية المضللة — جاهل بأسباب النزاع بين العرب وإسرائيل . .

فقد جاءت الإجابات عن سؤال عما يروى من أسباب النزاع بين العرب

والإسرائيليين على النحو التالى :

٢٢ % العداة التاريخى القديم

١٦ % ملكية الأرض (حترق إقليمية)

٥ % ادعاء العرب بأن اليهود استولوا على أرضهم

٤ % الشيوعية

٤ % أسباب اقتصادية

٣ % أسباب سياسية

أسباب متنوعة

١٠٪

٤١٪^(١)

لا رأى لهم

فكان ٥ ٪ من الآراء هي التي رجحت أن السبب هو الاستيلاء على الأراضي العربية وكان الرأي العام الأمريكي يجهل (وربما يتجاهل عمداً) مشكلة اللاجئين وحرق شعب فلسطين . وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن هناك فجوة كبيرة بين المطالب العربية العادلة وبين إدراكها والعلم بها . في صفوف الرأي العام الأمريكي من ناحية . ويدل كذلك على فشل الدعاية العربية والإعلام العربي في شرح قضية فلسطين فشلا ذريعاً من ناحية ثانية .

هذا عن الرأي العام الأمريكي . . . ولكن ماذا عن ساسة أمريكا ؟

تقول الدراسة التي أعدها المعهد الأمريكي للاتصال السياسي « أن الضغط الداخلي على الحكومة الأمريكية كان شديداً ومنظماً لصالح إسرائيل » .

هذا وقد حوت ٥٠ ٪ من المقالات في الصحف الأمريكية تعليقات على تصريحات الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . وقد وجدت الدراسة أن الأوصاف التي استخدمتها المقالات في تصوير موقف الرئيس كانت تصوره بما يلي : داعية حرب ، مهدد ، غير متعاون لإنجاح جهود السلام .

هذا في الوقت الذي اتخذت فيه افتتاحيات الصحف موقفاً مؤيداً لإسرائيل ولم تشر أي افتتاحية موالية للعرب ولا حتى شارحة لموقف العرب ، ولم ينتصر المهجوم على عبد الناصر وحده بل شمل كل ما هو عربي ، ويلاحظ أن الصورة المطبوعة عن العربي هي صورة سلبية يكاد لا يكون فيها أي عنصر مدح ، وقد صور العربي بالأوصاف الآتية :

أسمر ، زافع العينين ، متآمر ، جبان

وقد عمل التليفزيون والسينما بالصورة والصوت على تقوية هذا الانطباع . في حين صور الإسرائيلي بالأوصاف التالية :

شاب ، نشط ، محب للمكاهة ، مجذ ، شجاع ، لرحب الشمس بشرته .

(١) تخمين بشير : المرجع السابق ص ١٠ ، ص ١٩ إلى ٢١ .

وصاحب هذا حملة واسعة لتذكير القراء بالاضطهاد الذي وقع على اليهود في الماضي وعلى جرائم النازية وعلى مقتل الملايين من الأبرياء في المعتات ، وعلى التلميح بأن العرب يرغبون في القضاء على إسرائيل وبذلك تم خلق الإيحاء النفسى بالربط بين الموقف العربى والجرائم النازية . ويلاحظ أن نجاح هذه الحملة قد خلق لإسرائيل رصيذاً كبيراً من التأييد مكنتها من إظهار هجومها على العرب وترسعها في صورة هجوم من العرب على إسرائيل ، وأضنى على عملية التوسع الإقليمي صورة الرغبة في الحصول على السلام الدائم والحدود الآمنة الطبيعية .

هذا بالإضافة إلى أن التقارير الصحفية قبل حرب ١٩٦٧ قد احتوت الكثير من المبالغات التي تشوه الحقائق لصالح إسرائيل . ففي لعبة الأرقام مثلا نجد من يقول (٦٠ مليون عربى يحاربون ٢,٧ مليون إسرائيلى) الأمر الذي كان يستجلب العطف على إسرائيل . في حين أن تقدير المعاقين العسكريين كان يضع أرقام الجيوش العربية بما لا يزيد عن ٢٨٥,٠٠٠ جندي في حين أن جيش إسرائيل قدر مجموعته بحوالى ٣٠٠,٠٠٠ جندي ، وفي حين أنه كان معروفاً أن الجيش الإسرائيلى سيحقق النصر في ثلاثة أو أربعة أيام على الأكثر ، وبرغم هذه الصورة الموضوعية فإن التشويه في الأرقام والتحيز في عرضها بدأ الأمريكى وكان إسرائيل الحمل الوديع تتعرض لافتراس الذئب العربى الشره .

والسرى في ذلك أن أبرز خصائص الخط الدعائى الصهيونى اعتماده على الإيحاء والتذكير ثم التشبث لا على لإقناع ، ومن هنا فإن أخطر ما فى الدعاية الصهيونية لا يكمن فى أنها تجعل المرء يفكر بعواطفه ويجعل من منطق العواطف موقفاً فكرياً له فحسب ، بل لأنها تفعل أسوأ من ذلك كله : أنها تجعل المرء يتعاطف بعمق مع ما يؤمن فى ظل التفكير الهادئ - لو أتبع له - بأنه سيئ وغير إنسانى تماماً ، وعلى أية حال فإن هذه هى صفات كل دعاية لا تركز على أيديولوجية حقيقية وطيدة الأركان وإنما تقوم على أسس برجماتية واهية كما أثبتت حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

والأمر الذي لا شك فيه أن نتائج حرب أكتوبر ١٩٧٣ بما أحدثته من خلخلة في البناء الدعائي الإسرائيلي والصهيوني وبكشفتها عن مدى خداعه وكذبه هي نقطة الانطفاء الأساسية التي يجب أن يركز عليها الإعلام العربي الخارجي لو كانت هناك رغبة صادقة في تنشيط وترشيد هذا الإعلام ، على أن يكون أساس صراعنا الدعائي مع إسرائيل كشف زيف الأيديولوجية الصهيونية وإبراز جوانب التماثل الدقيق بين أساليبها وأساليب النازية ، ودل الحركات الاستعمارية الاستيطانية التي شهدناها وعانى منها عالمنا المعاصر .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن الوقت قد حان في اعتقادنا لوضع وبدء تنفيذ خطة إعلامية بعيدة المدى لتحسين صورة العربي في مخيلة شعوب العالم الخارجي من واقع الإنجازات الكبيرة القائمة في كافة مجالات حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفنية على مستوى العالم العربي بأكمله^(١) ، ويتعاون وتنسيق تام بين كافة المؤسسات السياسية والثقافية والفنية العربية . . .

(١) مختار الهامى : للرأى العام والحرب النفسية - مقدمة للطلعة الثانية .